جـــــامعة يحـــــي فـــارس ـ المـــدية-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الفكر التداولي عند السكاكي في كتابه مفتاح العلوم

التشبيه – أنموذجا –

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص لسانيات خطاب

إعداد الطالبتين:

- أحلام برادعي
- سمية براهيمي

ـ إشراف:

د/ سهام دويفي

السنة الجامعية 2018/2017


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... أرجو من الله أن يمّد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار.... إليك.. أبي الحبيب

إلى ملاكي في الحياة....إلى بسمة الحياة وسر الوجود....إلى من كان دعاءها سر نجاحي...

أمي الحبيبة

إلى أخي ورفيق دربي...إلى من أرشدني سبيل النجاح...إلى صديقي وحبيبي وأبي الثاني...أخي الغالي إبراهيم

إلى من أحس معهم بالأمان ، أخويّ الغاليين لخضر وزكريا

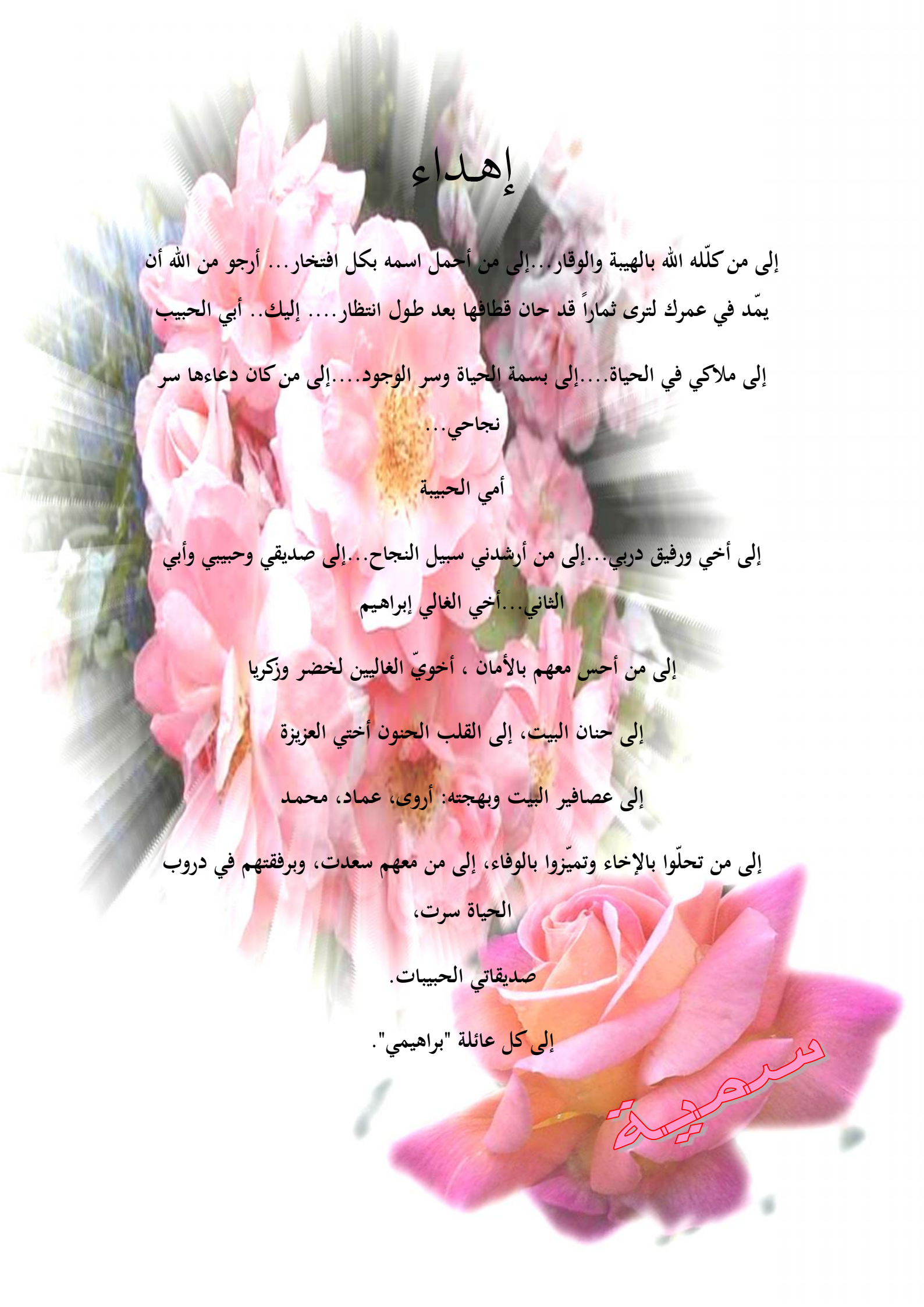
إلى حنان البيت، إلى القلب الحنون أختي العزيزة

إلى عصافير البيت وبهجته: أروى، عماد، محمد

إلى من تحلّوا بالإخاء وتميّزوا بالوفاء، إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة سرت،

صديقاتي الحبيبات.

إلى كل عائلة "براهيمي".



إهداء

إلى ينبوع الصّبر والتفاؤل...إلى زهرة حياتي..إلى أغلى ما في هذا الوجود...إلى أمّي الحبيبة

إلى سيّد العائلة...إلى من أحمل اسمه... إلى أبي العزيز

إلى أسود العائلة.. إخوتي الخمسة، وخاصة أخي الغالي وسندي " هشـام" الذي دعمني وساندني في مشواري.

إلى زوجات إخوتي، وخاصة صندوق أسراري" فريدة" "سهام"

إلى براعم العائلة ومصدر سعادتها:

(محسن، فاطمة، إشراق، محمد، زينب، زبير، ياسر، وإلى المولود والمولودة المنتظرة)

إلى جدتي الغالية صاحبة القلب الحنون، أطال الله في عمرها

إلى أخوالي وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم

(إكرام، إيمان، نبيلة)

إلى عمّي وعمّاتي حفظهم الله ورعاهم

إلى صديقاتي العزيزات رفيقات دربي.. كل باسمها

إلى كل عائلة برادعي وغاني.

أحدح

كلمة شكر

الحمد لله على نعمه التي منّ بها علينا ووفقنا لإتمام وإنجاز هذا العمل، فهو العلي القدير، كما لا يسعنا إلاّ أن نخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير الدكتورة " دويفي سهام " ولو أن الشكر لا يوفيها حقّها فشكراً على المجهودات التي بذلتها في سبيل مساعدتنا لإنجاز هذا البحث، وسخائها علينا بنصائحها القيمّة والمفيدة، كما نتقدم بالشكر لكل من أسهم في إتمام هذا البحث من قريب أو بعيد.

مقدمة

ظهرت نظريات جديدة وحديثة في ميدان العلم وما كان على العلماء سوى استثماره والاستفادة منها ومن بين هذه النظريات الحديثة نظرية التداولية ،هذه الأخيرة هي علم جديد للتواصل اللغوي وتفسيره حيث تزاوجت هذه النظرية ومجموعة من العلوم المختلفة ومن بين هذه العلوم "البلاغة العربية" فهي ميدان رحب وواسع يحتاج سالكه أن يتعرفان يتعرف على مسالك اللغة العربية وأن يتعمق في مدلولاتها.

وقد ارتأينا اختيار كتاب مفتاح العلوم للسّكاكي كمدونة للبحث حيث نقوم بدراسة أحد قضاياه تداوليا وقد وقع اختيارنا على موضوع الفكر التداولي" عند السّكاكي في كتابه مفتاح العلوم التشبيه، أنموذجا هادفين من خلال ذلك الى دراسة التشبيه دراسة تداولية.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع معرفة ما إذا كان السّكاكي تداوليا في طرحه للتشبيه؟ وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية المطروحة والمتمثلة في:

هل يظهر فكر السّكاكي في مفتاحه فكرا تداوليا؟ وهل تناول التشبيه من منظور تداولي؟ وهل للتداولية الحديثة جذور في البلاغة القديمة؟

أما المنهج الذي اتبعناه في بحثنا هو المنهج الوصفي التحليلي نظرا لملائمته لطبيعة الموضوع كوننا بصدد وصف وتحليل التشبيه من منظور تداولي.

وقد اتبعنا خطة بحث للإجابة عن الإشكاليات المطروحة، قسمناها الى مقدمة وفصلين وخاتمة.

فصل نظري قسمناه الى مبحثين عنونا المبحث الأول بالسّكاكي وكتابه حيث تناولنا فيه مولده ونشأته وعلمه ووفاته، كما تطرقنا فيه إلى التعريف بالمدونة إضافة الى تأثره بعلماء البلاغة.

أما المبحث الثاني فعنوناه فالفكر التداولي الحديث تطرقنا فيه الى تعريف التداولية لغة واصطلاحا إضافة الى نشأتها وتطورها ،كما ذكر أيضا أهم روادها والدرجات الثلاث للتداولية إضافة الى أهم روافدها وتطرقنا الى ذكر التداولية عند العرب القدامى وعند الغرب.

أما الفصل الثاني تطبيقي عنوناه بالفكر التداولي عند السّكاكي حيث عرفناه وذكرنا عناصره اضافة الى عنصر آخر وهو التشبيه عن شراح المفتاح أمثال الخطيب القزويني وبهاء الدين السبكي.

أما المبحث الثاني فوسمناه بالتشبيه في المنظور التداولي الحديث حيث تطرقنا فيه الى ذكر عناصر التداول عند السّكاكي وأخيرا التشبيه التداولي.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع ساعدتنا على اثراء هذا البحث بجملة من المعلومات القيمة والمفيدة ومن بين هذه المصادر والمراجع التي اتخذناها نجد مفتاح العلوم لصاحبه السّكاكي، التداولية اليوم جاك موشلار، آن روبول أساس البلاغة للزمخشري، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، إضافة الى كتاب الصناعتين وكتاب

التداولية عند العلماء العرب للدكتور مسعود صحراوي، إضافة الى كتاب شوقي ضيف البلاغة تطور وتاريخ.

ومن أهم الصعوبات التي واجهناها في بحثنا هذا هو ضيق الوقت وثراء الموضوع كونه موضوع واسع الآفاق.

وأخيرا خاتمة هي نتيجة أو حوصلة لما ورد في البحث من أفكار ومعلومات.

وختاما لا ندّعي أننا أضفنا جديدا الى ما جاء به أساتذتنا حول الفكر التداولي عند السّكاكي كبحث باديس الهويمل التداولية عند السّكاكي، وغيره إلا أننا استفدنا من اطلاعنا على فكر السّكاكي، والفكر التداولي الحديث واستفدنا من تحصلنا على بعض من هذا العلم، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطئنا فمن أنفسنا.

الفصل الأول

السّكاكي والفكر التداولي

المبحث الأول: السّكاكي وكتابه.

1- السّكاكي تعريفه: (مولده ونشأته، علمه، مؤلفاته).

2- التعريف بالمدونة: (وصف المدونة)

3- منهج السّكاكي في مفتاح العلوم.

4- تأثر السّكاكي بعلماء البلاغة العربية.

المبحث الثاني: الفكر التداولي الحديث.

1- التداولية: تعريفها، نشأتها، تطورها وأهم روادها.

ج- مهام التداولية.

د- الدرجات الثلاث للتداولية.

و- روافد التداولية.

التداولية عند العرب القدامى وعند الغرب

تمهيد:

قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين حيث تناولنا في المبحث الأول السّكاكي وكتابه تحدثنا فيه عن حياته، مولده، ونشأته إضافة إلى علمه ومؤلفاته، وتطرقنا فيه إلى التعريف بالمدونة ووصفها وصفا شاملا كما تحدثنا فيه عن منهج السّكاكي في كتابه مفتاح العلوم إضافة إلى تأثره بعلماء البلاغة.

أما المبحث الثاني فقد عنوناه بالفكر التداولي الحديث حيث تطرقنا فيه إلى تعريف التداولية ونشأتها وتطورها وأهم روادها إضافة إلى الدرجات الثلاث للتداولية وأشرنا إلى مهامها كما تحدثنا فيه عن العلوم التي غذتها إضافة إلى حديثنا عن التداولية عند العرب القدامى وعند الغرب.

المبحث الأول: السّكاكي وكتابه.

1. السّكاكي: تعريفه (مولده ونشأته):

هو سراج الدين أبو يعقوب بن محمد بن السّكاكي ولد في قرية من قرى خوارزم سنة 555 هـ/1160 م "في عهد السلطان الرابع للدولة الخوارزمية بن أرسلان بن آثر" [1]

وقد أجمع العلماء عل مولده في هذا العام ولم يخالفهم إلا ياقوت الحموي "صاحب كتاب معجم الأدباء" الذي ذكر في كتابه أن السّكاكي من أهل خوارزم، علّامة إمام في العربية (...) ولد سنة 554هـ (...) وهو اليوم حي ببلدية خوارزم" [2] وهو بقوله "حي ببلدية خوارزم" يجعل رأيه أقرب إلى التصديق بحكم معاصرته له.

كما أن العلماء اختلفوا في نسبه إلى قرية خوارزم "وقد نسبه مصطفى بن محمد البنّاني إلى سّكاكة قرية بنيسابور، وقيل بالعراق وقيل باليمن، ولكن هذه النسبة غير صحيحة لأن السّكاكي لم يولد في بنيسابور ولا في اليمن ولا في العراق وإنّما ولد في خوارزم".[3]

وقد اشتهر السّكاكي بهذا اللقب نسبة إلى صنعة الحدادة وقيل إن أسرته كانت تحترف صنع المعادن وخاصة السّكك، وهذا ما جعل السّكاكي يلقب بهذا اللقب.[4]

---

1 – احمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مطابع دار التضامن، بغداد، ط 1، 1994، ص46.

2 – ياقوت الحموي ،معجم الأدباء ،مطبعة دار المؤمون ،الطبعة الأخيرة ،ج20 ،ص 59 ،60

3 – أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص 47.

4 – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، د ت، ط9، ص 285 (بتصرف)

وعرف أن السّكاكي حنفي المذهب معتزلي العقيدة، فقد كان المذهب الحنفي هو المذهب السائد وعقيدة الاعتزال الأكثر انتشارا في ربوع خوارزم، حتى أصبحت تكاد لفظة خوارزمي ترادف لفظة معتزلي.[1]

ولا شك في أن السّكاكي كان معتزليّا فمعظم علماء بيئته كانوا كذلك، وذلك لانتشار هذه العقيدة في بلدته آنذاك.

"هذا بعض ما يؤكد أنه كان معتزليّا ويمكن الاستئناس على صحة هذا الرأي بما ذكرناه سابقا في أن بيئة خوارزم التي نشأ فيها السّكاكي كانت مرتعا خصبا للاعتزال وكان الكثير من علماء عصره ينتهجون هذا المنهج كالزمخشري والسيوطي وغيرهما (...) فلا عجب إذا ما أصبح السّكاكي معتزليّا وهو وليد بيئة خوارزم وتلميذ رجال ذهبوا مذهب الاعتزال وعملوا من أجله".[2]

وقد عرفت خوارزم وأهلها بالعلم والمعرفة والأدب "يقول المقدسي عن أهل خوارزم أنهم أهل علم وفقه وقراءة وأدب "[3] وقد عاصر السّكاكي خمسة من ملوك دولته فقد حكم

[1] – أحمد مطلوب ،البلاغة عند السكاكي ،مرجع سابق ،ص 56.

2 – شوقي ضيف ،البلاغة تطور وتاريخ،مرجع سابق ص 57 (بتصرف)

3 – احمد مطلوب ،البلاغة عند السكاكي ،مرجع سابق ،ص56.

الدولة الخوارزمية ثمانية ملوك، وقد أدى السّكاكي دورا فعالا في عهد كل من علاء الدين محمد وجلال الدين منكبرتي وقد كانت علاقته بعلاء الدين محمد أوثق"[1]

ب- **علمه:**

عرفت خوارزم بالعلم والأدب، فقد كان ملوكها يولون أهمية كبيرة للعلماء، فقد ازدهرت الحياة العقلية في خوارزم وخاصة في عصر السّكاكي.

وقد عاش هذا الأخير حياته كأي شخص له عمله الخاص وهي السّكاكة ".... ضل إلى نهاية العقد الثالث من حياته يعنى بصنع المعادن حتى وقر في نفسه أن يخلص للعلم ويتفرغ له، وإذا هو يكب عليه يحاول أن يلتهمه التهاما".[2]

وقيل ان السّكاكي قد انصرف إلى العلم في سن متأخرة فقد ذكر في بداية اهتمام السّكاكي

بالعلم أنه زار مرة ملك زمانه وكان حدادا فلم يلق له الملك بالا ولم يعطه ولو القليل من وقته بينما دخل عليهم رجل فقام الملك احتراما وتقديرا له، وعند السؤال عنه قيل إنّه عالم من علماء البلدة وهنا ظهرت عزيمة السّكاكي في التعلم فدرس إلى أن أمضى عشر سنوات فيئس وانقطع عن العلم ثم عاد من جديد بعزيمة ثابتة وأصبح عالما من علماء عصره.[3]

1 -احمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص 35-36.

[2] - شوقي ضيف البلاغة تطور وتاريخ، مرجع سابق، ص286.

[3] - احمد مطلوب، المرجع السابق، ص48 (بتصرف).

وهذه القصة التي نقلها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه "روضات الجنات" قد تكون مبالغ فيها فمن غير المعقول أن ييأس بعد عشر سنوات من الدراسة ولو كان كذلك لما أصبح الآن عالما من علماء العربية وأشهرهم.

وما اندفاع السّكاكي إلى العلم إلاّ لنيل مقام وحظوة عند ملوك زمانه فقد انصرف الناس في عصر السّكاكي إلى خدمة المنطق والفلسفة وعلم الكلام[1] وقد ذكر من أساتذة السّكاكي ثلاثة "وليس بين أيدينا معلومات واضحة عمن تتلمذ لديهم سوى ما يقال إنّه تتلمذ على يد سديد الدين الخفاجي وابن صاعد الحارثي ومحمد عبد الكريم التركستاني".[2]

إلاّ أن السّكاكي لم يذكر منهم سوى الحارثي الذي نقل عنه في بعض المواضع، فيذكر كنيته فقط فيقول " قال شيخنا الحاثمي وغير ذلك".[3]

ج. مؤلفاته:

اشتهر السّكاكي بكتابه "مفتاح العلوم" الذي يعد الكتاب الوحيد الذي تم طبعه من بين كتبه كما أنّ له كتبا أخرى من بينها "شرح الجمل" وهو شرح لكتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني كذلك كتابه "التبيان" الذي ذكره ابن خلدون وهو يتحدث عن مفتاح العلوم، كما أنّ

[1] – احمد مطلوب البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص56.

[2] – المرجع نفسه ص36

[3] – المرجع نفسه ص 35

له رسالة في علم المناظرة، ذكرها جورجي زيدان، وذكرها الزركشي في الأعلام، وكتاب "الطلسم" وهو باللغة الفارسية.[1]

د. وفاته:

اختلف العلماء والباحثون في سنة وفاته مثلما اختلفوا في سنة ميلاده فالمستشرق شاده يرى أنه مات سنة 623هـ لـ 1226 م أو سنة 626هـ لـ 1229م.[2]

وهناك من يذكر أنه توفى سنة 626 هـ وهذا ما ذكره شوقي ضيف "واختلف من توجهوا له في تعيين سنة وفاته هل سنة 623 هـ أو 627 هـ والرّاجح أنه توفى سنة 626 للهجرة. [3]

وقد ذكر أنه توفى في السجن بعد أن زجّ به الملك جغناي بعد محاولة إشعال النار بين الملك والسّكاكي، وتوفي بعدها بثلاث سنوات من سجنه.[4]

[1] – أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص60 (بتصرف).

[2] – المرجع نفسه ص 60.

[3]– شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ مرجع سابق ص 287.

[4] – أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، المرجع السابق ص56.

2- التعريف بالمدونة:

أ. وصف المدونة:

يعتبر مفتاح العلوم من الكتب القيمة التي ألفها البلاغيون القدامى، والوحيد الذي تم طبعه من كتب السّكاكي، فهو كتاب يبحث في اللغة العربية وعلومها، انتشر وذاع صيته ولقي قبولا بين الباحثين والدارسين وذلك لدقة منهجه "وهو كتاب جليل ضم بين دفنيه علوم اللغة العربية من صرف ونحو ومعان وبيان وبديع وحد واستدلال ومجاز وقرآن وعروض وقافية، والكتاب بهذا جاء متناسقا".[1]

ولم يشر السّكاكي إلى فترة تأليفه لهذا الكتاب فلم تعرف سنة تأليفه، غير أنه لمح او ذكر إشارة إلى سنة أو فترة تأليفه "إلا أنّ السّكاكي ذكر في علم البيان الخليفة الناصري العباسي".[2]

وهذا ما يدل على أن الكتاب في فترة خلافة ناصر الدين آل خليفة العباسي الذي تولى الخلافة سنة 575 هـ وتوفي سنة 622 هـ "فلا بد أن يكون السّكاكي قد ألف كتابه قبل وفاة ناصر الدين بن عبد الله".[3]

[1] – السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط1 1981، ص20.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المرجع نفسه ص 65.

وقد رجع أحمد مطلوب إلى أن الكتاب ألف سنة 596[1] حيث حظي هذا الكتاب باهتمام بالغ ورعاية كبيرة من طرف الباحثين وذلك منذ أن انتشر في المشرق والمغرب في القرن السابع الهجري. [2]

فقد طبع مفتاح العلوم طبعات عديدة ذكرها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه البلاغة عند السّكاكي وكانت هذه الطبعات كالتالي:[3]

1. طبعة الأستانة وهي طبعة حجرية.
2. طبعة المطبعة بمصر سنة 1317هـ.
3. طبعة لمطبعة الميمنة بمصر سنة 1418هـ.
4. طبعة التقدم العلمية بمصر 1348هـ.
5. طبعة مطبعة الباني الحلبي بمصر 1356هـ.[4]

حيث يعتبر كتاب "مفتاح العلوم غرة مصنفاته وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام أساسية تحدث في القسم الأول منها عن علم الصرف (...) وجعل القسم الثاني لعلم النحو، أما الثالث فخص به علما المعاني والبيان.[5]

[1] - احمد مطلوب البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق ص 64 (بتصرف).

[2] – المرجع نفسه ص 61.

[3] – نفس المرجع ص 63.

[4] – شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، مرجع سابق، ص287.

[5] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية دار النهضة بيروت، لبنان ط1 ،2009، ص27.

والقسم الثالث "علم المعاني وعلم البيان " وهو سبب شهرة السّكاكي في البلاغة "فقد انفرد القسم من الكتاب بالكلام على علمي المعاني والبيان وما يلحقه من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية بنوعيها اللفظي والمعنوي".[1]

فقد كان السّكاكي أول من بوّب علوم البلاغة وقسمها إلى ثلاثة أقسام هي المعاني، البيان والبديع.

3.منهج السّكاكي في مفتاح العلوم:

عرف عن مفتاح العلوم أنه كتاب شامل لعلوم اللغة العربية فقد ضم أهم علوم اللغة العربية اهتم به الباحثون والدارسون لأهميته البالغة ومنهجه الدّقيق الذي نستطيع أن نقول عنه أنه لم يسبق أن نهج كتاب مثله فـ "هو أو ل كتاب عربي جمع بين علوم اللغة العربية على هذا النحو لم يسبق له".[2]

وكان سبب عناية الدارسين بهذا الكتاب منهجه السليم والمحكم والدقيق، إن "منهج السّكاكي في بحث علوم اللغة العربية وترتيبها منهج فيه كثير من الصواب والدقة ويكاد يكون كمنهج المحدثين في دراسة علوم اللغة".[3]

وقد كان للسّكاكي في دراسة علوم اللغة منهج خاص في ترتيب موضوعات كل علم، وهذا

[1] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، مرجع سابق ص 28.

[2] – السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق د عثمان أكرم يوسف، مرجع سابق، ص20.

[3] – أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص66.

المنهج انفرد به عن المتقدمين ويتضح ذلك في القسم الأول من كتابه وهو الصرف الذي قسمه إلى ثلاثة فصول:[1]

الأول: في بيان حقيقة علم الصرف والتثنية على ما يحتاج إليه في تحقيقها.

الثاني: في كيفية الوصول إليه.

الثالث: في بيان كونه كافيا كما عرف به من الغرض، كما أن منهج السّكاكي هو انطلاق من الجزء إلى الكل وذلك منطقي وبما أنه معتزليّ فإنه يميل إلى المنطق وبالتالي فقد انتهج منهجا يعتمد فيه على المنطق وذلك بالانطلاق من الجزء إلى الكل.

بيّن السّكاكي في كتابه أن ترتيب السواء، مبتدأ أمر الأصغر إلى الأكبر فهو يبحث الجزء وصولا إلى كل وذلك بأن يبدأ بتمهيد ويقف عند بعض قضايا اللغة ويعقبها بالصرف فالنحو فالبلاغة وعلومها الثلاثة (المعني والبيان والبديع) فالحد فالاستدلال فالقافية فالعروض فالكلام على الطاعنين في كلام الله والرد عليهم".[2]

وقد كان اعجاز القرآن من أهم الأهداف التي دعت السّكاكي لتأليف كتابه "فقد وضع بين يدي القارئ الأدوات التي يصل إليها لفهم إعجاز القرآن والرد على الطاعنين في كتاب الله (...) وختم كتابه يرد على الطاغين".[3]

وهذا هو المنهج الذي اتبعه السّكاكي في المفتاح.

[1] – السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 28.

[2] – أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مرجع سابق، ص64.

[3] – السّكاكي مفتاح العلوم، المرجع السابق، ص 24.

4.تأثر السّكاكي بعلماء البلاغة العربية:

عرف عن السّكاكي أنه لم يتلق العلم إلا بعد بلوغه الثلاثين من العمر فما فوق ولا شك أنه بذل مجهوداً في الدراسة والعلم، وحين تأليفه لكتاب قيّم "كتاب مفتاح العلوم" نلاحظ أنه تأثر بالعديد من علماء البلاغة أهمهم الزمخشري، الجرجاني وكذلك الرازي وهذا ما تذكره المصادر التي بين أيدينا "نحن حينما نقول أنه جديد في منهجه فليس معنى ذلك أنه لم ينظر في كتب المتقدمين فالحقيقة أن السّكاكي أفاد فائدة كبيرة من كتاب "المفصل في النحو" لجار الله الزمخشري ولكنه اختلف عنه في ترتيب موضوعات الصرف وتنسيقها (...) كما أننا نجد السّكاكي يختلف اختلافا واضحا عن الزمخشري ليس من جهة جنس المادة ولكن في التناول وطريقة البحث، فالدارس لكلا المنهجين يجد السّكاكي أكثر تحديدا وأشد دقة.[1]

كما أنّ السّكاكي قد تأثر بعبد القاهر الجرجاني من خلال كتبه "أسرار البلاغة" "ودلائل الاعجاز" وكذلك كتاب الجمل.

فمنهجه في النحو منهج يستفيد من كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني الذي شرحه في كتاب "شرح الجمل" ولكنه يختلف عنه في التوسع، فكتاب "الجمل" مختصر في النحو، في حين نجد أنّ السّكاكي قد فصل القول في النحو.[2]

[1]- السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 35.

[2]- المرجع نفسه ص 51.

أما منهج السّكاكي في بحثه للمحسنات جديد في التقسيم والترتيب وقد وضعها في نهاية علمي المعاني والبديع.

فقد تأثر في هذا الجانب بالرازي ورشيد الوطواط فقد أخذ عن الرازي بعض أقسام مادته حرفيا[1].

ومن خلال هذا فإن السّكاكي تأثر بعلماء البلاغة أهمهم الزمخشري والجرجاني والرازي "فمن خلال مجهودات البلاغيين من قبله وبخاصة عبد القاهر الجرجاني 671 هـ والزمخشري 538 هـ والرازي 606 هـ استطاع أحدهما، أن يهدف إلى عمل ملخص دقيق كما نشره أولئك البلاغيون في كتبهم من آراء وكذلك لما توصل إليه من أفكار، وثانيهما أن يصوغ كل ذلك في صيغ مضبوطة محكمة.[2]

[1] - السّكاكي، مفتاح العلوم مرجع سابق، ص51.

[2] – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 26.

المبحث الثاني: الفكر التداولي الحديث.

1. التداولية تعريفها نشأتها وتطورها وأهم روادها:

أ. تعريف التداولية لغة واصطلاحا:

أ-1 لغة: لها عدة تعاريف لغوية في معاجم مختلفة منها:

"دول، دالت له الدولة ودالت له الأيام بكذا وأدال الله لبني فلان من عد وهي جعل الكثرة لهم عليه، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بد، وأديل المشركون على المسلمون يوم أحد والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم وتداولوا الشيء بينهم والماشي يدلو بين قدميه يراوح بينهما". [1]

وهي في تعريف آخر "تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دواليك أو مداولة على الأمر ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة وهذا مرة.[2]

أ- 2 اصطلاحا: تعتبر التداولية علماً جديداً للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي.[3]

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة تحقيق محمد، باسل العيون السود، منشورات دار الكتاب العلمية بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 303

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، م 11 ط 3، 1994، ص 252-253.

[3] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، (د.ت) بيروت ص16.

وتعني أيضا: "دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب يقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له"[1]

ب. نشـــأة التداوليـة وتطـورهـا:

تعتبر التداولية علما جديدا في التواصل فهي منبثقة عن الفكر الفلسفي في اللغة ولكن سرعان ما تجاوزه، فالتداولية هي علم يدرس علاقة العلامات بمستعمليها. "فنشأة التداولية توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية"[2]

بدأت اللسانيات التداولية على يد سقراط ثم تبعه أرسطو والرواقيون من بعده بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلاّ على يد باركلي تغذيها طائفة من العلوم على رأسها الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.[3]

فالتداولية هي بمثابة اتجاه جديد يهدف إلى حل الكثير من المشاكل اللغوية التي أغفلتها اللسانيات وأهملتها كالفنولوجيا وعلم التراكيب وعلم الدلالة وفي هذا الصدد يقول كارناب

[1] – باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم، للسّكاكي، عالم الكتب الحديث، ط1 ،2014، ص15.

[2] – جاك موشلار وآن روبول، التداولية اليوم علم جديد، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 27.

[3]– نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009، ص 10.

«karnab» "أن التداولية درس غزير وجديد بل ويذهب إلى أكثر من هذا بقوله "انها قاعدة اللسانيات"[1]

ففي العقد السابع من القرن العشرين أصبحت التداولية مجالا يؤخذ به في الدرس اللساني وذلك بعد تطورها على يد فلاسفة اللغة أمثال أوستين وسيرل وغرايس الذين ينتمون إلى مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية.[2]

وقد كانت نظرية أفعال الكلام هي البدايات الأولى لتطور اللسانيات التداولية على يد جون أوسكيس «jhon ouskis » حيث قام هذا الأخير بإلقاء محاضرة .وليام جايمس « william jeams » عام 1955 حيث لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات فقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ونجح في ذلك بحيث أن محاضرة وليام جايمس (w.j) ستكون كذلك بوثيقة التداولية اللسانية.[3]

انطلق أوستين «Austin» من فكرة مفادها أن كثيرا من الجمل لا يستعمل لوصف الواقع بل لتغييره فهي لا تقول شيئا عن حلّة الطعون الراهنة أو السابقة إنما تسعى إلى تغييرها.[4]

---

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 2004، ص23.

[2] – جاك موشلا، أن روبول التداولية اليوم علم جديد، المرجع السابق، ص 29.

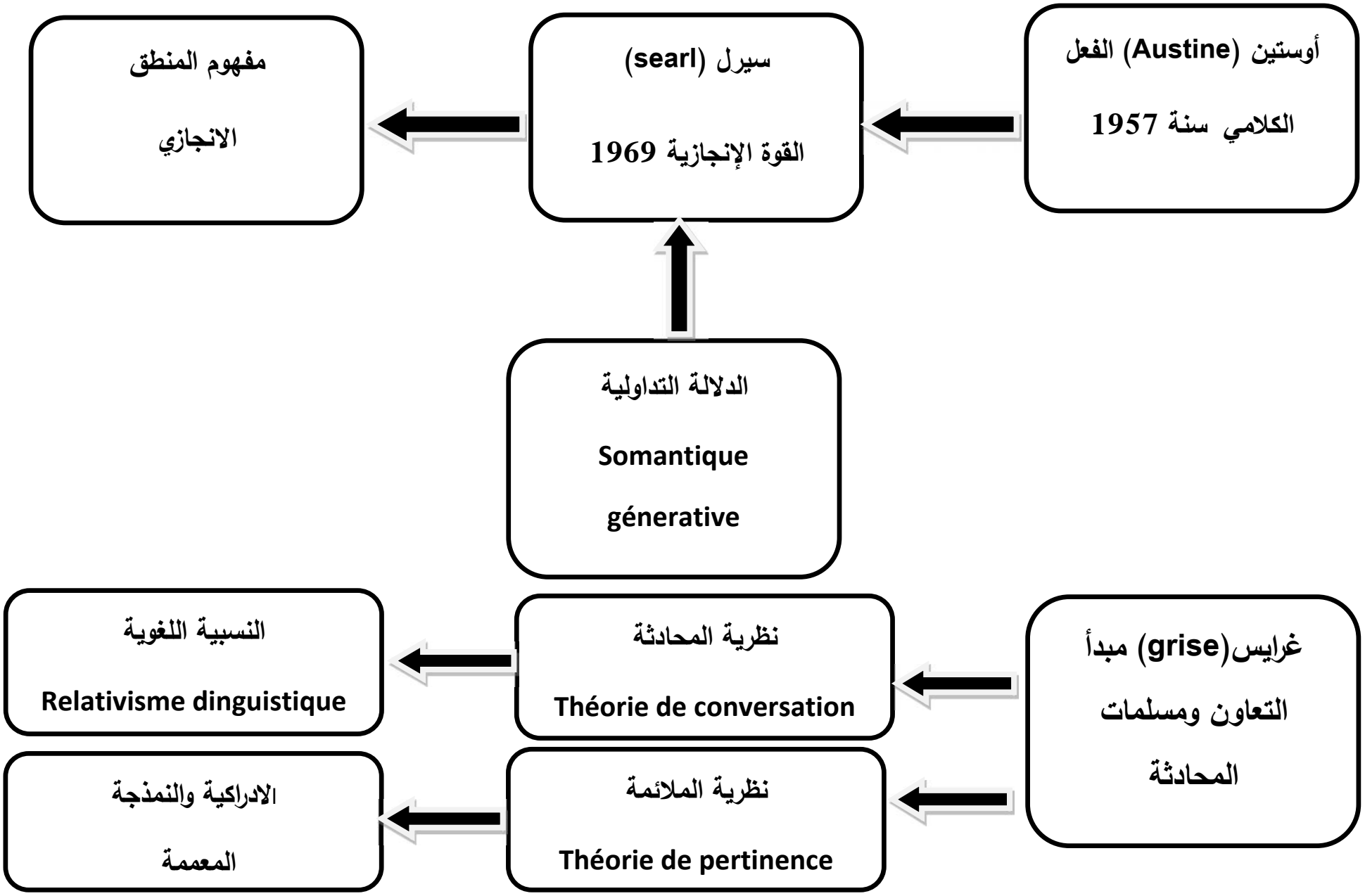
[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – المرجع نفسه، ص 30.

فعبارة الزم الهدوء لا نصف واقعا بل تسعى إلى تغيير الضجيج إلى الهدوء.

ويمكن تلخيص السياق التاريخي للمفاهيم التداولية في المخطط التالي وحيث هو مخطط توضيحي للمراحل التي مرَت بها التداولية في مسار تطورها باعتبارها علم جديد للتواصل والمخطط يتجلى فيما يلي: [1]

[1] –مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص31.


أوستين (Austine) الفعل
الكلامي سنة 1957
سيرل (searl)
القوة الإنجازية 1969
مفهوم المنطق
الانجازي
الدلالة التداولية
Somantique
génerative
غرايس(grise) مبدأ
التعاون ومسلمات
المحادثة
نظرية المحادثة
Théorie de conversation
النسبية اللغوية
Relativisme dinguistique
نظرية الملائمة
Théorie de pertinence
الادراكية والنمذجة
المعممة

ج. أهم روادها:

1. شارل ساندرس بيرس (1838-1914) (charles sanders pierce) لم تظهر التداولية إلى النور حتى سنة 1878 حين كتب مقاله المشهور "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" الذي يعتبر امتدادا لمقاله "تثبيت المعتقد" سنة 1877 ثم بعد عامين من هذا أضاف بأن أي فكرة تكمن بالنهاية في تأثيرها على أفعالنا والتداولية عنده تجعل التذكير على العلاقة مع الفعل تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشيء هي معنى ذلك الشيء وقد ربط في مرحلة أخرى بين التداولية والأفينوسينولوجيا.[1]

2. جون أوستين (john Austine): يعد رائد هذا الاتجاه الأول وذلك عندما ألقى محاضراته في جامعة هارفرد ضمن برنامج محاضرات وليام جيمس وذلك سنة 1955 لكنه آنذاك لم يكن يطمح إلى تأسيس اختصاص فرعي للسانيات لأن هدفه كان تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو "فلسفة اللغة" كذلك كان يهدف أيضا إلى تنظيم الدلالات تنظيما جديدا ومفيدا.[2]

3. جون رودجر سيرل (John Rogers Searle) فيلسوف أمريكي معاصر متخصص في فلسفة اللغة وفلسفة الذهن ولد في دنفر بولاية كولورادو عام 1932 ودرس الفلسفة في أوكسفورد وفي عام 1959 صار أستاذ الفلسفة اللغة بجامعة بيركلي، أسهم في إغناء نظرية أفعال الكلام التي أسسها جون أوستين في كتابه المشهور "كيف تنجز الأشياء

[1] - اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع، Brahmi blog spot. Blague .com

[2] - المرجع نفسه.

بالكلمات" حيث يعد كتاب سيرل "أفعال الكلام 1969" أحد أهم المصادر في نظرية الخطاب المعاصرة. [1]

[1] - ويكيبديا ps//arm.wikipedia.org

ج. مهام التداولية

تتلخص مهام التداولية فيما يلي:

دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها كلاماً محدود المصادر من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد[1] إضافة إلى شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات، بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

حيث يقول فان دايك « van dayk »: "والفكرة الأساسية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم في بعض السياقات فنحن أيضا نقوم بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال".[2]

كما يقول أيضا: " أنها تتيح صياغة شروط انجاح إنجاز العبارة وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره

[1] - مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق ص27.

[2] – فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني ،المغرب، د.ط د.ت ص 292.

مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية التي تقوم في صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الإنجاز الذي ينبغي أن يستوفى في انجاز العبارة حتى تصبح ناجحة والمهمة الثالثة أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل انجازي وكمبادئ فعل مشترك للإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأوليه".[1]

دراسة اللغة حالة اللفظ بها في سياقاتها ومقاماتها المختلفة "فالتلفظ هو النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي.[2]

[1] – فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، المرجع السابق، ص256.

[2] - عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،مرجع سابق ص 27.

د. الدرجات الثلاث للتداولية

أ. تداولية الدرجة الأولى دراسة الرموز الإشارية:

هي مرتبطة بالعلامات الإشارية مثل: أنا هنا الآن التي تتجلى في الأقوال وتتضح في مرجعيتها في سياق الحديث ولا تتحدد حالات هذه الرموز إلا من خلال السياق التي توظف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف حالاتها حسب ظروف استعمالها.[1]

ب. تداولية الدرجة الثانية المعني الحرفي والمعنى التواصلي:

حيث تهتم بدراسة الدلالة الضمنية للقول حيث يتم في هذا المستوى توسيع مفهوم السياق "من سياق المواضعة وكشف الاحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عند المخاطبين كحدس وكما في سياق المواضعة يقع التداخل لرفع الابهامات في الجمل كذلك حتى وهي لا تشمل على إشاريات وتعبر عن قضايا مختلفة بحسب السياق"[2] حيث يكون معنى الجملة يسوده الابهام على الرغم من عدم احتوائها على إشاريات.

ج. تداولية الدرجة الثالثة نظرية الأفعال الكلامية:

تنطلق من مسلّمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية [3] وهذه الأخيرة تختلف حسب الأغراض التي تتحقق من الإنجاز اللغوي.

---

[1] – خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، مرجع سابق، ص22. httpM//www.1000 le la.com

[2] – المرجع نفسه، ص23.

[3] – عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، ص13.

هـ. روافد التداولية

أ. **الفلسفة التحليلية:** هي مذهب لساني فلسفي جديد استطاع رواده أن يتجاوزوا منهجهم المستحدث في معالجة القضايا العالقة في الفلسفة متجاوزين الفلسفة التقليدية بتحويل بؤرة الاهتمام في حد ذاتها فمن هذا المنهج انبثق أهم وأساس الحقل التداولي في الدراسات اللغوية وهو ما يعرف بالأفعال الكلامية.[1]

ب. **الفلسفة البراغماتية:** يقول جيمس إن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على أن نربطها بأجزاء من خبرتنا بطريقة تؤدي إلى سلوك ناجح في الحياة ويضيف أنه ينبغي عليك أن تستخرج من كل لفظ قيمته الفورية الفعلية وأن تضعه موضع العمل في نطاق مجرى خبرتك بحيث تكون قيمة الفكرة مرتبطة بنجاح السلوك الذي يؤديه الانسان بناءا على اعتقاداته في صحتها.[2]

ج. **علم النفس المعرفي:** استفادت التداولية كثيرا من هذا العلم والذي اهتم بالأمراض الذهنية إذ أصبح يهتم بالطريقة التي يعمل بها الذهن البشري وقد استفادت من التفسير الذي قدمه "جيري فودر" إذ بسبب أن اشتغال الذهن البشري اشتغالا تراتبيا وتجري فيه معالجة المعلومة الإخبارية مهما كان مصدرها مرئي، سمعي، لغوي، عبر

[1] – خديجة بوخشة ،محاضرات في اللسانيات التداولية، مرجع سابق،ص 20

[2] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص 24

مراحل متلاحقة وكل مرحلة منها تقابل مكون من مكونات الذهن وهي المحولة والنظام الطرفي والنظام المركزي.[1]

د. **نظرية المحادثة: أفادت** التداولية فلسفة بول غرايس «paul greas» والتي تتجلى بوضوح في أشهر ما قاله منطق المحادثة 1975 وقد أدخل فيه مفهومين مهمين يعدان من أهم المفاهيم التي تهتم باللسانيات التداولية وهما الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون ويقدم ضمن هذا المقال مفهوما متطورا للدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية كما يصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها.

هـ. **المنطق:** المفاهيم الجديدة في المنطق التي تجاوزت دلالات المنطق الصوري المتوارثة لأنه لم يتمكن من تفسير بعض الظواهر التي تطرحها العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بشكل عام والبنية الحجاجية بشكل خاص بالإضافة إلى مفاهيم وأفكار ظل يستفيد منها الإتجاه التداولي في معالجة وإثراء القضايا اللغوية فهذا الأمر هو الذي جعل صلاح فظل يذكر أنه ذو طبيعة غير تخصيصية تغذيه جملة من العلوم. [2]

[1] جاك موشلار وآن روبول التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق ص 73

[2] – خديجة بوخشة ، محاضرات في اللسانيات التداولية،مرجع سابق ص21

و. التداولية عند العرب القدامى وعند الغرب:

1. التداولية في العالم الغربي نتيجة للجهود اللغوية الغربية في إظهار علم على اعتباره علما والعلم يقتضي بطبيعته إخضاع الأشياء المشمولة بدراسته لكل مما يقتضيه من دقة وضبط فلم يكن بالإمكان إخضاع علم الدلالة لذلك العلم بلا ظهور علم جديد يدعى علم التخاطب أو التداولية أو المقاميات وقد تطور هذا العلم على أيدي علماء من قبيل أوستين وليكش وسيرل ولفنسون وغيرهم فصرنا نستخدم كلمات من قبيل المقولات بدلا من الجمل ويعرف علم التداولية على أنه دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية فبينما يعالج علم الدلالة معاني الجمل تعالج التداولية معاني المقولات على أن أول من بدأ الدراسة من هذا القبيل في العالم المعاصر هو الفيلسوف الإنجليزي أوستين في كتابه "كيف تفعل الأشياء بالكلمات 1962" ففسر المقولات إلى خبرية وهي ما يمكن وصفها بأنها كاذبة أو صادقة وأخرى إنجازيه أي التي تنجز عملا عندما نتفوه بها والأخيرة لا توصف بأنها صادقة أو كاذبة بل موفقة أو غير موفقة وفي مرحلة لاحقة طور أوستين نظريته فوسع الأقوال الانجازية لتشمل جميع المقولات التي ينطق بها المتكلم بما فيها الخبرية إذ أن المتكلم ينجز فعلا الاخبار عندما يتفوه بها وبذلك ميز أوستين ثلاثة أفعال ينجزها المرء عندما ينطق بقول معين وهي فعل النطق وفعل الانطاق وفعل الاستنطاق.[1]

[1]) اللسانيات اللغة التواصلية والتفاعل والمجتمع – الجمعة 13 مايو 2011م مرجع سابق

2. التداولية عند العلماء العرب القدماء:

يرى الكثير من الباحثين أن هناك ارهاصات لعلم التداولية في أعمال الكثير من اللغويين العرب القدماء فقد قسم العرب العبارات ويشار إليها أحيانا بالجمل إلى خبرية او انشائية حيث يرى هشام الخليفة أن العرب قد عرفوا التداولية بكل ابعادها وكانت نظريتهم في هذا الإطار متكاملة لكنها متناثرة في كتب أصول الفقه وكتب علماء الكلام واللغويين والبلاغيين، وهو يرجع أن المكتشفين الأوائل لهم علماء الأصول فقد اكتشفوا الإنجازات

بأنواعها وفرقوها عن الأخبار، وهم مدركون تماما لأنواع وعناصر التداولية الثلاثة التي جاء بها أوستين (فعل القول والفعل الكلامي والتأثير الكلامي) لكن الفرق كان في التسمية والأمثلة التي أخذوها من اللغة المكتوبة وخاصة لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بينما استخدم الغربيون أمثلة من الحياة اليومية وقد سموا أفعال الكلام والإنجازات تسميات أخرى من قبيل الإنشاء الطلبي والإيقاعي وعبّروا عن فعل القول بإرادة إحداث الصيغة وعن الفعل الكلامي بإرادة الدلالة بالصيغة على الفعل والتأثير الكلامي بإرادة الفعل أو الأثر المطلوب أو نتائج الكلام.[1]

مجالات البحث التداولي: له مجالات عديدة ومتنوعة فالبحث التداولي يقوم على أربعة جوانب هي:

[1]) اللسانيات اللغة التواصلية والتفاعل والمجتمع ،مرجع السابق

1. الإشاريات: يوجد في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد على السياق اعتمادا تاما ولا يستطاع إلا تفسيرها بمعزل عنه فإذا قرأت الجملة الآتية مقتطعة من سياقها سوف يقومون بهذا العمل غدا وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد من العناصر الاشارية التي تعتمد بتفسيرها اعتمادا تاما على السياق الذي قيلت فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه ومن هذه العناصر واو الجماعة، اسم الإشارة (هذا)، وظرف الزمان ولا يتضح المعنى إلا إذا عرفنا ما تشير إليه.[1]

2. الافتراض السابق: يعني المعلومات المشتركة بين المتكلم والمتلقي أي يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترضه سلفا أن النافذة مفتوحة وأن هناك مبررا يدعوا إلى اغلاقها وأن المخاطب قادر على اغلاقها وأن المتكلم في منزله الآمر وكل ذلك موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب وتتضح أهمية الافتراض السابق في تأسيس المتكلم حديثه وتواصله مع المتلقي على أساس المعلومات السابقة المشتركة بينهما.

3. الاستلزام الحواري: حاول الفيلسوف غرايس إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية الظاهرة وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل

[1] - اللسانيات اللغة التواصلية والتفاعل والمجتمع ،مرجع سابق

إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال فحاول إقامة معبر بين المعنى الصريح والمعنى المتضمن ومن هنا نشأت فكرة الاستلزام.

4. الأفعال الكلامية: الفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ويعد نشاط ماديا نحويا يتوسم أفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ومن ثم فهو فعل تأثيري أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء ما.[1]

[1]) ويكيبيديا wikipedia.org ps//arm

الفصل الثاني

الفكر التداولي في مفتاح العلوم

المبحث الأول: التشبيه عند السّكاكي.

أ- ماهية التشبيه: (تعريفه، عناصره، أدواته، أنواعه).

ب- التشبيه عند السّكاكي في مفتاح العلوم.

ج- التشبيه عند شرّاح المفتاح.

المبحث الثاني: التشبيه من منظور تداولي حديث.

1- الفكر التداولي عند السّكاكي.

2- الفكر التداولي في علم البيان عند السّكاكي.

3- تداولية التشبيه عند السّكاكي.

المبحث الأول: التشبيه عند السّكاكي.

أ. ماهية التشبيه (تعريفه، عناصره، أدواته، أنواعه)

1. تعريفه لغة واصطلاحا:

- **لغة** : "التمثيل وهو مصدر مشتق من الفعل شبه بتضعيف الباء ،يقال شبهت هذا بهذا تشبيها ،أي مثله به".[1]

وفي تعريف آخر يعني "التشبيه من التمثيل والشبيه بالمثيل وأشبه الشيء ماثله". [2]

ومعناه في اللّغة أيضا "مشاركة أمر لأمر معني بأدوات معلومة"[3]

- **اصطلاحا:** هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في الصفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة.[4]

ويعرّفه ابن رشيق بقوله: "التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا نرى أن قولهم "خدٌّ كالورد " إنّما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضيرة كمائمه "

---

1 – عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم (المعاني، البيان، البديع)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص 255

2 – انعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البيان، البديع والمعاني) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة جديدة منقعة، ص 322

3 – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار النشر، المكتبة العصرية، ط1، 1999، ص219

4 – علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، 1999، د.ط، ص 18

2- **عناصره:** للتشبيه أربعة أركان هي كالتالي:

أ. **طرفا التشبيه:** [1]

1. **المشبه:** وهو المراد وصفه أو المقصود وصفه.

2. **المشبه به:** هو الشيء الذي يجعل نموذجا للمقارنة وتتحقق فيه الصفة، ويكون الأقوى والأوضح والأقرب إلى إدراك السامع.

حيث يعتبر المشبه والمشبه به هما العمدة في التشبيه وقد حضرا في أربعة أقسام[2] هي:

- أن يكون مستندين إلى الحس مثل قولنا خد كالورد.
- أن يكون مستندا إلى العقل.
- أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا.
- أن يكون المشبه محسوسا والمشبه به معقولا.

3. **وجه الشبه:** هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء بين المشبه والمشبه به.[3]

4. **أداة التشبيه:** هي الرابط أو الواصل بين المشبه والمشبه به.[4]

1 – محمد مصطفى هدارة في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ص 1، 1989، ص 35

2 – محمد عيسى ابراهيم قنديل، الشريف الجرجاني وجهوده البلاغية، أطروحة دكتوراه في الآداب، إشراف الأب الدكتور لويس بوزية والدكتور أهيف سنو، جامعة القديس يوسف، 1994، ص 358

3 – القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص 246

4 – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 222

3. أدوات التشبيه:

هي عديدة ومتنوعة منها ما هو حرف كالكاف وكأنّ ومنها ما هو اسم مثل: شبه، شبيه وما في معناها مما يدل المماثلة والمشابهة أو(.....) والمحاكاة، ومنها ما هو فعل نحو حسب ظنّي، خال، وما في معناها ممّا يدل على المماثلة.[1]

وهذه الأدوات ليست أساسية في التشبيه فقد تكون مذكورة أو محذوفة. ومن أمثلة ذلك:

1. منها ما هو حرف الكاف وكأنّ قوله جلّ جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ(4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ(5) ﴾ [2]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ(49) ﴾"[3].

2. منها ما هو اسم : ومثال ذلك قوله جل جلاله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)﴾ [4]

3. منها ما هو فعل وفعال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ(39)﴾[5]

---

1 – محمد مصطفى هدارة، في البلاغة، مرجع سابق، ص 35 .

2 – سورة الفيل، الآية 05

3 – سورة الصافات، الآية 48–49

4 – سورة الكهف، الآية 109

5 – سورة النور، الآية 39.

4. أنواعه:

ينقسم التشبيه إلى :

1. باعتبار تعدد طرفيه [1]، ينقسم إلى:

- تشبيه ملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله ومثال ذلك قول الشاعر:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد.

- تشبيه مفروق: هو جمع كل من مشبه مع ما شبه ومثال ذلك قول الشاعر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنهم

- تشبيه التسوية: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به حيث سمي بذلك للتسوية فيه بين المشبهات ومثال ذلك قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفـــــاء وأدمعي كالليالي

- تشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه بهد زن المشبه ومثال ذلك قول الشاعر:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

1 – السيد احمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1999، ص 225 .226.

2. باعتبار وجه الشبه [1]، ينقسم إلى:

- تشبيه تمثيل: ما انتزع فيه وجه الشبه من متعد ومثال ذلك الضغينة كلهيب لا يلبث أن يموت فشبه الشبه هنا متعدد الصور.
- تشبيه غير تمثيل: هو ما لم ينتزع فيه وجه الشبه متعد ومثال ذلك: قلبك كسواد الليل فوجه الشبه هنا هو الحقد.
- التشبيه المفصّل: وهو ما ورد فيه وجه الشبه مثل قلبك كالثلج بياضا.
- التشبيه القريب المبتذل: وهو ما ورد فيه وجه الشبه واضحا مثل : أنت كالبحر.
- التشبيه المجمل: وهو ما خلى من وجه الشبه مثل، قلبك كالثلج.
- التشبيه البعيد الغريب: وهو ما احتاج وجه الشبه فيه إلى فكر وتأمل.

3. باعتبار أداته، ينقسم إلى:[2]

- التشبيه المرسل: وهو تشبيه اشتمل على أداة من أدوات التشبيه مثل: أنت كالبدر في الجمال فالمشبه هو الضمير لأنت، والأداة هي الكاف والمشبه به هو البدر أما وجه الشبه بينهما فهو الجمال.
- التشبيه المؤكد: هو التشبيه الخالي من أدوات التشبيه ومثال ذلك أنت بحر في الجود حيث ذكر المشبه "أنت" والمشبه به بحر ووجه الشبه في "الجود" وحذفت الأداة.
- التشبيه المفصل: وهو ما اشتمل على وجه الشبه.

1 – أحمد فراج العجمي، alaagmy.wordpress.com (بتصرف)

2 – عبد الرحمن حسن السيراني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، الدار الشامية، بيروت، ط1، ج2، 1996، ص 173 (بتصرف)

ب. التشبيه عند السّكاكي في كتاب مفتاح العلوم:

يعتبر التشبيه أسلوبا انشائيا حيث عرفه السّكاكي في كتابه مفتاح العلوم بأنّه ما استدعى طرفين (مشبّه ومشبّه به).

واشتراكهما من جهة وافتراقهما من جهة أخرى (وجه الشبه) كاشتراكهما في الحقيقة واختلافهما في الصفة أو العكس، فتشبيه شيء عنده ما هو إلاّ وصف له بمشاركته وجه الشبه في أمر فالشيء لا يتصف بنفسه إذ لابد من وجود مشبه به وقد تحدّث السّكاكي في كتابه عن طرفي التشبيه ووجهه والغرض منه وكذا أحوال التشبيه ككونه قريبا وغريبا، مقبولا او مردودا ففي شرحه للأول بيّن أنّ المشبه والمشبه به يكونان إما حسيين وأعطى مثالا عنه بتشبيه الخد بالورد، والنكهة بالعنبر، والجلد الناعم بالحرير، أو عقليين مستندين إلى العقل ومثاله في تشبيه العلم بالحياة، أو مختلفين إذ يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا والعكس صحيح، ومثال الأول: العدل قسطاس، ومثال الثاني: المنيّة كالسّبع.

- أما في شرحه للثاني فقد بيّن أنّ وجه الشبه المراد به إمّا الأمر واحدا أو غير واحد، وهذا الأخير يكون في حكم الواحد كونه حقيقة ملتئمة أو أوصافا مقصودا من مجموعها إلى هيئة واحدة أو لا يكون في حكم الواحد، وهو ثلاثة أقسام:

أ. أن يكون وجه الشبه حسيا أو عقليا فالحسي يجب أن يكون طرفاه حسيين لامتناع إدراك الحس من غير المحسوس، أمّا العقلي فهو أعم من التشبيه الحسي ومثاله العلم كالحياة.

ب.أن يكون وجه الشبه غير واحد لكنه في حكم الواحد وهو على نوعين إمّا أن يكون مستندا إلى الحس ومثاله تشبيه الشمس بالمرآة في كفّ الأشلّ.

ج. ألاّ يكون وجه الشبه واحدا ولا منزلا منزلة الواحد.

وقد بيّن السّكاكي أنّه ليس من الضروري أن يكون وجه الشبه صريحا على ما هو عليه ولابد من شموله لطرفي التشبيه.

- أمّا في شرحه للثالث: فقد بيّن الغرض من التشبيه في قوله "يكون عائدا إلى المشبه أو قد يعود إلى المشبه به فإذا كان عائدا إلى المشبه فإمّا أن يكون لبيان حاله(...) وإمّا أن يكون لبيان مقدار حاله إذا قلت هو في سواده كحلك الغراب، وإمّا أن يكون لبيان إمكان وجوده (...) وإمّا أن يكون لتقوية شأنه في نفس السامع وزيادة التقرير له" [1]

وأمّا إذا كان عائدا على المشبه به فالغرض منه إيهام كونه أعم من المشبه في وجه التشبيه.

أمّا في شرحه للرابع: فقد تحدث عن أحوال التشبيه من كونه قريبا أو غريبا مقبولا أو مردودا.

ج.التشبيه عند شراح المفتاح:

1. عند الخطيب القزويني في كتابه: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، والبديع) مختصر تلخيص المفتاح، تحقيق رحاب عكاوي "تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، قراءة وكتابة وتقديم ياسين الأيوبي"

1 – السّكاكي، مفتاح العلوم تحقيق أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، ط1، 1981، ص568 –569.

أ. تعريفه لغة واصطلاحا:

- **لغة :** "التشبيه هو التمثيل" [1]

وهو في تعريف آخر "مشاركة أمر لأمر آخر في معنى" [2]

- **اصطلاحا:** هو ما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة، وأنّ تعقيب المعاني منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذمّا أو افتخارا أو غير ذلك.[3]

ويعني أيضا "إلحاق شيء بآخر بينهما صفة مشتركة أو هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى ما من المعاني ما لم تكن هذه المشاركة على وجه الاستعارة التحقيقية

والاستعارة بالكناية" [4]

1 – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، قرأه وكتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002، ص 135.

2 – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان والبديع)، مختصر تلخيص المفتاح، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2000، ص 165

3 – المرجع نفسه، ص 165

4 – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص135

ب. عناصره:

للتشبيه أربعة عناصر هي: طرفاه (المشبه والمشبه به)، وجه الشبه، وأداته :

1. طرفا التشبيه: ويكونان إمّا حسيين أو عقليين أو مختلفين، أمّا الحسيان كالخد والورد والصوت الضعيف والهمس والنكهة والعنبر، أمّا العقليان كالعلم والحياة والمختلفان كالسبع والمنية فالمنية هي المشبه وهو طرف عقلي والسبع هو المشبه به وهو طرف حسي والعطر والخلق الكريم، فالمشبه هو العطر محسوس بالشم والمشبه به هو الخلق عقلي.[1]

2. وجه الشبه: هو ما يشترك فيه طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) تحقيقا أو تخييلا" [2]

3. أداة التشبيه:

الكاف أو كأنّ أو مثل أو ما في معناها كلفظة نحو وما شاكل والأصل في نحو وحرف (الكاف) أن يليه المشبه به وقد يليه غير ذلك حيث يكون المشبه به مركبا كقوله تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) ﴾ [3]

وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كما في المثال التالي: علمتُ زيدا أسدا دال على القريب، وحسبت زيدا أسدا، دال على البعيد".

1- الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص135

2 – المرجع نفسه، ص 141.

3 – سورة الكهف، الآية 45.

ج. أنواعه: ينقسم التشبيه إلى خمسة أقسام هي كالتالي:

أ. باعتبار طرفيه ينقسم إلى:

1. تشبيه مفرد بمفرد يكونان غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مقيدين مختلفين ومثال ذلك والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ. [1]

2. تشبيه مركب بمركب وهو ما كان طرفاه كثرتان مجتمعتان[2] ومثال ذلك قول البحتري:[3]

ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهام

3. تشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد.[4]

ب.باعتبار تعدد طرفيه ينقسم إلى :[5]

1. ملفوف: وهو ما أُتي فيه بالمشبهات ثم المشبهات بها.

2. مفروق: وهو أن يؤتي بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر.

3. تشبيه التسوية والجمع.

1 – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 144 بتصرف

2 – القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني البيان والبديع)، مختصر تلخيص المفتاح، المرجع السابق، ص 189

3 – البحتري، قصيدة في مدح محمد بن عبد الله بن طاهر، ديوانه 394/1

4 – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص 144. 145

5 –المرجع نفسه، ص 144. 145

ج. باعتبار وجه الشبه[1]: ينقسم إلى:

1. تشبيه تمثيل : وهو ما وجهه منتزع من متعدد ومثال ذلك تشبيه الشمس بالمرآة في كفّ الأشلّ.

2. تشبيه غير تمثيل: وفيه وجه الشبه منتزع من مفرد.

3. تشبيه مجمل : وهو ما لم يذكر وجه الشبه فيه.

4. تشبيه مفصل : وهو ما ذكر وجهه.

5. تشبيه قريب مبتذل : وهو ما ينقل فيه المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظرا لظهور وجهه في بادئ الرأي لكونه أمرا جمليا.

6. تشبيه بعيد غريب : وهو بخلاف القريب المبتذل لعدم الظهور أو لكثرة التفصيل.

د. باعتبار أداته[2] ، ينقسم إلى:

1. مؤكد وهو ما حذفت أداته مثل قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾.

2. مرسل: هو ما ذكرت أداته.

هـ. باعتبار الغرض منه [3] ينقسم إلى:

[1] – الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، مرجع سابق، ص146 ،147

[2] – المرجع نفسه، ص 148

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1. مقبول: وهو الوافي بإفادته كأن يكون المشبه به أعرف من المشبه في وجه الشبه، إذا كان الغرض بيان حال المشبه أو أن يكون أتم شيء في وجه الشبه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل أو أن يكون في بيان الإمكان مسلّم الحكم ومعروفا عند المخاطب إذا كان الغرض بيان الوجود.

2. مردود: فهو قاصر عن افادة الغرض.

2. التشبيه عند بهاء الدين السّبكي في كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:

أ. **تعريفه:** عرفه السّبكي بأنّه "التشبيه في اللّغة هو جعل الشيء شبيها بآخر والتشبيه الاصطلاحي ليس فيه ذلك بل فيه ادّعاء التشبيه أو اعتقاده مجازا عند وصفه بذلك (...) فالتشبيه الاصطلاحي مجاز عن لفظ التشبيه اللّغوي وقد حدّه المصنّف فقال: "الدلالة ولا يصح ذلك بالتفسير المتقدم من أن الدّلالة صفة اللفظ فإن التشبيه فعل المتكلم ولا يصح جواب الخطيبي بأنه عرف التشبيه في الاصطلاح ليس هو الدلالة إن كانت صفة اللفظ فواضح أن التعريف فاسد وإن كانت صفة السامع فكذلك أيضا"[1]

- **استنتاج:**

من خلال التعريف نخلص إلى أن السّبكي اختلف في تعريف التشبيه مع السّكاكي حيث فنّد رأيه بمجموعة من الحجج كما هو ظاهر في التعريف إلاّ أنّه توافق معه في نقاط

[1] – بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق "عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003، ص20.

أخرى إذ أن السّبكي درس تعريف السّكاكي للتشبيه كما حلّل الأمثلة التي أوردها وخلص إلى أنّ التشبيه في الاصطلاح ليس هو الدلالة فالتشبيه هو فعل المتكلم.

ب. أركانه:

توافق السّبكي في تقسيم أركان التشبيه حيث قسمها إلى طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) وهما عمدتاه إذ يكونان إمّا حسيين وذلك بتوفر مجموعة من القواعد فيهما إذ أنّ الحواس الخمسة منوطة بإدراك الصور الجزئية الحقيقية أو عقليين، وهو ما يدرك فيهما التشبيه بالعقل، أو مختلفين أحدهما حسّي والآخر عقلي والعكس صحيح، وكذا وجه الشّبه وهو حاصل الشّراكة بين المشبه والمشبه به في صفة معينة أو صفات ومن أركانه أيضا الأداة وتكون إمّا حرفا كالكاف وكأنّ أو فعلا أو اسما كمثيل وشبيه.[1]

- **استنتاج:**

نستنتج من خلال طرح السّبكي لأركان التشبيه أنه توافق مع السّكاكي إذ طرح نفس أفكاره إلاّ أنّه اختلف معه في طرحه للأمثلة كمثال: تشبيه الخدّ بالورد، قال السّبكي كان له أن يقول، حمرة الخد كحمرة الورد.

ج. أنواعه: توافق السّبكي مع السّكاكي في تقسيم التشبيه إذ قسمه إلى :

1. باعتبار طرفيه:[2] هو أربعة أقسام تشبيه مفرد بمفرد وهذا بدوره على أربعة اقسام أن يكون

[1] – بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، مرجع سابق، ص 34–36

2 – المرجع نفسه، ص38

طرفيه غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مفردين مقيدين ومثله : هو كالقابض أو كالرقم على الماء، وإما يكونا مختلفين ومثاله قول ابن المعتز، والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ إضافة إلى تشبيه مركب بمركب، ومثال ذلك النجوم والدُّجا كالسّنة والابتداع ومن أنواعه أيضا تشبيه مركب بمفرد ومثال ذلك قول أبي تمام:

يا صاحبي تقصيا نظريكما ترِيا وجوه الأرض كيف تصور

تريانها مشمسا قد شـــابه زهر الربا فكـأنمـا هـو قمـر

وكذا تشبيه مفرد بمركب ومثال ذلك قول الشاعر:

وكأنّ محمر الشقيق إذا تصـوب أو تصعـد

أعلام ياقـوت نشـر ن على رماح من زبرجد

2. باعتبار تعدد طرفيه[1] هو ينقسم إلى :

- الملفوف: وهو ما ذكر فيه المشبه ثم المشبه به على التوالي.
- المفروق: هو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به ثم مشبه ومشبه به آخران.

إضافة إلى تشبيه التسوية والجمع.

3. باعتبار وجهه[1] حيث قسمه إلى ثلاثة أقسام تشبيه تمثيل وغير تمثيل ومثاله قوله تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

1 – بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، مرجع سابق، ص 40 (بتصرف)

وتشبيه مجمل وتشبيه مفصل إضافة إلى تشبيه قريب وهو المستعمل لعامة أو بعيد وهو المستعمل للخاصة.

4. باعتبار أداته:[2] هو قسمان مؤكد وهو سالم يشتمل على أداة، تشبيه مرسل وهو ما اشتمل على أداة تشبيه، أمّا باعتبار الغرض فهو إمّا مقبول أو مردود.

1 – بهاء الدين السّبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، مرجع سابق، ص41 (بتصرف)

2 – المرجع نفسه، ص 48

المبحث الثاني: التشبيه من منظور تداولي حديث.

1. الفكر التداولي عند السّكاكي.

جاء في تعريف البلاغة عند أبو هلال العسكري أنها "كل ما بلغ من معنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن" [1] وهو تعريف يشير إلى طرفي التواصل وهو كل من السامع والمتكلم، حيث أنّه يركز على المتكلم ويشير إلى أنه يملك القدرة في التأثير على السامع، أي أنّ البلاغة تعد عملية تواصلية تقوم بين المتكلم والسامع بغية إيصال رسالة في مقام معين.

"فهو طرف أساسي في عملية الكلام، وعنصر فعّال في تحديد خصائص النّص إذ يقع على عاتقه كلفة إخراجه على سمة يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والوضوح" [2] فهو المسؤول الأول في العملية التواصلية فهو يقوم بإرسال رسالة لغوية يهدف من خلالها إلى الإقناع والتأثير في السامع.

وبما أنّ البلاغة ركّزت على عناصر التداولية "المتكلم، السامع، المقام" فسنحاول الكشف عن عناصر التداول لدى السّكاكي:

1. المتكلم:

عرّف السّكاكي علم المعاني على أنّه "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها

1 – أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح مفيد قمحة، ط2، 1989، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص19

2 – رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، ص10

من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام: التراكيب الصادرة عمّن له فضل التمييز والمعرفة.

وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عمّن سواهم" [1]

والسّكاكي هنا يشير إلى أن الكلام يكون صادرا عن متكلم بليغ، فهو يحدد المستوى اللغوي الذي ينبغي على المتكلم أن يكون فيه.

ويقول السّكاكي في حديثه عن المتكلم ووجود مقتضى الحال عنده "فتارة تقتضي ما لا يفتقر في تأديته إلى أزيد من دلالات وضعية، وألفاظ كيف كانت، ونظّم لها لمجرد التأليف بينها يخرجها من حكمها وهو الذي سميناه في علم النحو أصل المعنى، أي المعنى الأصلي المراد إيصاله.

1-لدى السّكاكي حضور للمتكلم في ذهنه فهو يرى أن صياغة الكلام ترتبط بحاجة المتكلم، فهو يقول "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام الترهيب ومقام الجِدّ في جميع ذلك يباين مقام المعزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام..." [2] ولابد أنّ المقام الذي يقصده هو مقام المتكلم، وأساليب الكلام تشبع أغراض المتكلم وأحواله.

1 – السّكاكي مفتاح العلوم، أكرم عثمان يوسف، مرجع سابق، ص 341

2 – المرجع نفسه، ص 256

2-السامع:

إنّ هدف البلاغة العربية هو إقناع السامع من طرف المتكلم، وقد قلنا "السامع" لأنّ النصوص الأدبية قديما كانت تلقى باللسان، فالبلاغة "تقوم على الإفهام والإقناع وكنّا قد رأينا أنّ الإفهام هو وصول المرسِل إلى ذهن المرسَل إليه فغاية الملقي في ذلك أن يقنع المتلقي " [1] وبالتالي فإن للسامع دورًا مهمًا في العملية التواصلية القائمة بينه وبين المتكلم.

فنجد السّكاكي يقول "ولمن الكلام أن يوفّى من أبلغ الإصغاء، وأحسن الاستماع حقّه، وأن يتلقّى من القبول له، والاهتزاز بأكمل ما استحقه ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام، ومعتقدا بأنّ المتكلم تعمدها في تركيبه للكلام عن علم منه، وأنّ السامع إذا جهلها لم يميز بينه وبين ما دونه، وربما أنكره"[2]، فيشير إلى امتلاك السامع لقدرة تأويلية لقول المتكلم يقصد بها نفي الشك، وإن قلنا "زيد منطلق" فيفهم المتلقي أنه مجرد إخبار.

وكذلك قد يسيء السامع فهم المتكلم، إذا أخطأ فهذا الأخير في صيغ كلامه فيقول "وكذلك إذا أساء بالمتكلم اعتقاده، فربما نسبه في تركيبه ذلك إلى الخطأ، وأنزل كلامه منزلة ما يليق به من الدرجة النازلة"[3]

1 – سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، دراسة في ضوء اللسانيات في التداولية مذكرة لنيل درجة الماجيستير في لسانيات الخطاب، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009/2008 ص 92

2 – السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 332

3 – المرجع نفسه، ص 332

وفي تعريف علم المعاني ـ كما ذكرناه سابقا ـ عند السّكاكي، يرى أنّ المتكلم عليه أن يحقق جانب "الفائدة" والاستحسان وهذا ما يشير إلى أهمية وجود السامع في العملية التواصلية.

2. المقام:

لابد على المتكلم أن يراعي المقام الذي يصيغ فيه كلامه، فقد حدّد السّكاكي مقامات الكلام بقوله "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغايره مقام الكلام بناءً على الاستخبار والإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[1] وهنا يقصد مقام المتكلم، وهنا يتوضّعه التوجه التداولي عند السّكاكي، حيث يرى ضرورة مناسبة الكلام للمقام، الذي يؤدي إلى فهم السامع وهذا هو الهدف.

وفي أخذ المتكلم المقام بعين الاعتبار، فإنّه يمنح صورة للسامع في ذهنه أثناء إنتاج خطابه قبل توجيهه إليه، وإذا أخطأ في تقديره لحالة السامع فإنه يخطئ في تحقيق الفائدة.

1 – السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص 256 .

2. الفكر التداولي في علم البيان عند السّكاكي:

يعرّف السّكاكي علم البيان بأنه « معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لفهم المراد منه »[1]، وبالتالي فإنّ علم البيان في نظر السّكاكي هي تلك الشروط والقوانين التي تضمن مناسبة الكلام لقصد المتكلم، وذلك بما يناسب حال كل من المتكلم والسّامع.

وعلم البيان هو "إيراد المعنى بطرق مختلفة"، أي أن نقدم الدلالة إلى السامع بطرق مختلفة، وهذا الاختلاف لا يكون عن طريق الاتفاق، فيقول السّكاكي: « فإنّك إذا أقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها، فالسامع، وإن كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات، كان فهمه منها كفهمه من تلك، من غير تفاوت في الوضوح»[2]، أي أنّه إذا علم السامع أنّ الألفاظ موضوعة لهذه المعاني، فهو يفهمها مباشرة، ويسقط معنى قوله "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة والنقصان"، «وقد وضّح السّكاكي أنّ المعاني المستلزمة لا تكون على مستوى الدلالات الوضعية لأنّها تحمل معاني مباشرة، بل على مستوى الدلالات العقلية التي تحمل معنيين، معنى أوّل مباشرا غير مقصود لذاته، هو ما سماه " عبد القاهر الجرجاني " بالمعنى، والسّكاكي بالدلالة الوضعية أو مستوى أصل المعنى»[3].

1–السّكاكي، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص249.

2 – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– باديس لهويمل، مظاهر التداولية عند السّكاكي من خلال مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص197.

وبذلك ينتقل السامع في تصوره الذهني من هذا الشيء ـ ما تلقاه من قبل المتكلم ـ إلى ما يتعلق به من دلالات، وقد حدّد السّكاكي الدلالات في ثلاثة أنواع:

1-**دلالة مطابقة:** «في أن اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه «دلالة مطابقة» و «دلالة وضعية» »[1].

2- **دلالة تضمين:** « ومتى كان لمفهومها ذلك ولنسمه أصليا نعلق بمفهوم آخر أمكن أن تدل عليه بواسطة ذلك التعلق بحكم العقل ويسمى هذا «دلالة التضمين» و«دلالة عقلية» »[2]، أي تضمين المعنى في المعنى الأصلي لذلك سميت بدلالة عقلية.

3- **دلالة الالتزام:** وهي دلالة عقلية أيضا، أي حتى وإن كان للمفهوم الأصلي تعلق بمدلول آخر عقلي خارج عنه، إلاّ أنه لازم له، مثلا مفهوم السقف لا يدخل في معنى الحائط، أمّا إذا ذكرنا السقف فلابد من أن يكون هناك حائط ولذلك لابد أن نلزم وجود الحائط عند ذكر السقف[3] .

وهذا يؤكد وجود الفكر التداولي عند السّكاكي للمعنى، فهو مرتبط بما يعتقده السامع.

1 -السّكاكي، مفتاح العلوم، عثمان يوسف، مرجع سابق، ص556.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسه .

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها (بتصرف).

3. تداولية التشبيه عند السّكاكي:

يقول السّكاكي في تعريفه للتشبيه: «أنّ التشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراق من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس، فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة)طولا وقصرا)، والثاني: كالطويلين إذا اختلفا حقيقة (إنسانا وفرسا) »[1]، أي وجود طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) ووجود اختلاف بينهما مهما وجد تشابه بينهما، « وبالتالي فإنّه يركز على ضرورة وجود اختلاف بين طرفي التشبيه، غير أنّه ليس كليا فلا يمكن اقصاء عناصر التشابه كذلك...»[2].

والتشبيه عند السّكاكي « لا يشار إليه إلاّ لغرض »[3]، أي أنّ التشبيه غرضه الوصول إلى غاية المتكلم، وهنا يظهر البعد التداولي للتشبيه، وقد ردّ هذه الأغراض إلى طرفي التشبيه.

الغرض من عناصر التشبيه:

أ_ المشبه:

_ الغرض الأول هو «أن يكون بيان حاله كما إذا قيل لك ما لون عمامتك قلت كلون هذه وأشرت إلى عمامة لديك »[4]، وهذا إذا كان المتلقي يجهل حال المشبه.

---

[1]– السّكاكي، مفتاح العلوم، عثمان يوسف، مرجع سابق ص558 (بتصرف)

[2]–باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص201.

[3] –السّكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد الهنداوي، مرجع سابق، ص439.

[4] –المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

_ ثانيا «أن يكون لتقوية شأنه_ يقصد المشبه_ في نفس السامع وزيادة تقرير له عنده»[1].

_ تزيين المشبه في نفس السامع أو تشويهه كما جاء في قول السّكاكي : « وأمّا أن يكون لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين أو التشبيه أو الاستطراف... كما إذا شبّهت وجها أسودا بمقلة الظبي إفراغا له في قالب الحسن وابتغاء تزيينه »[2].

ب_ المشبه به:

الغرض العائد إليه هو إيهام المتلقي كون أنّ المشبه به أتمّ من المشبه في وجه الشبه[3].

كقوله:

وبدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح.

هنا، ينسب وجه الشبه إلى الخليفة، فنحاول إيهام المتلقي أنّ وجه الخليفة أتمّ من الصباح.

_ الغرض الثاني من المشبه به هو ما سماه السّكاكي" إظهار المطلوب " «كما إذا أشير لك أنّ وجهه كالقمر في الإشراق والاستدارة وقيل: « هذا الوجه شبيه ماذا؟» فقلت: «الرغيف» اظهارا لاهتمامك بشأن الرغيف لا غير وهذا الغرض يسمى «إظهار المطلوب» »[4].

وهذه الأغراض تبيّن لنا أهمية كل من طرفي التشبيه والبعد التداولي الموجود فيه من خلال تلقي السامع للتشبيه من طرف المتلقي.

---

[1] – السّكاكي، مفتاح العلوم، تح عبد الحميد الهنداوي، مرجع سابق، ص439

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – السّكاكي، مفتاح العلوم، تح عثمان يوسف، مرجع سابق، ص571.

[4] –المرجع نفسه، ص574.

الخاتمة

إن التداولية والبلاغة العربية مرتبطان ببعضهما ارتباطا كبيرا، ويظهر ذلك في كتاب مفتاح العلوم لأبي يعقوب السّكاكي، فهو المدونة التي اخترناها لتطبيق عليه موضوع بحثنا الموسوم بـ: " الفكر التداولي عند السّكاكي من خلال كتابه المفتاح، التشبيه أنموذجا "، وممّا نستنتجه أنّ :

1- السّكاكي من العلماء الذين ساهموا في تطوير اللّغة العربية، وذلك من خلال كتابه "مفتاح العلوم" الذي هو جامع لكل علوم اللّغة العربية "الصرف، النحو، البلاغة (المعاني، البيان، البديع)"، وهو الكتاب الوحيد الذي طبع من مؤلفاته، وقد اعتمد فيه منهجا دقيقا يُعتبر الأفضل على الإطلاق في تصنيف علوم اللّغة العربية، وقد اعتمد فيه على المنطق باعتبار أنّه كان معتزلي المذهب، كما أنّه قد تأثر ببعض علماء البلاغة الذين سبقوه على رأسهم عبد القاهر الجرجاني و الزمخشري وكذلك فخر الدين الرازي.

2- التداولية هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، فهي بمثابة اتجاه جديد يهدف إلى حل الكثير من المسائل اللغوية التي أغفلتها اللسانيات. وقد تطورت على يد فلاسفة اللّغة أمثال أوستين وسيرل وغرايس الذين ينتمون إلى مدرسة فلسفة اللّغة الطبيعية، ومن مهامها دراسة اللّغة حالة التلفظ بها في سياقاتها المختلفة، والتداولية درجات ثلاث: الأولى دراسة الرموز الإشارية، والثانية المعنى الحرفي والمعنى التواصلي، والثالثة نظرية الأفعال الكلامية، كما أن للتداولية روافد عديدة منها الفلسفة التحليلية والفلسفة

البراغماتية، إضافة إلى علم النفس المعرفي ونظرية المحادثة والمنطق، هذا فيما يخص الجانب النظري.

3- أمّا بالنسبة للجانب التطبيقي، فقد كان عن تداولية التشبيه الذي هو مشاركة أمر لأمر آخر في معنى ما، وأركانه أربعة هي: طرفاه (المشبه والمشبه به)، وجهه وأداته، وهذه الأخيرة تكون إمّا حرفا أو فعلا أو اسما.

ينقسم التشبيه إلى أربعة أقسام :

أ_ باعتبار تعدد طرفيه، ينقسم إلى ملفوف، مفروق، التسوية، وتشبيه الجمع.

ب_ باعتبار وجهه، ينقسم إلى : تشبيه التمثيل وغير التمثيل، مفصل، قريب مبتذل، تشبيه بعيد غريب.

ج_ باعتبار أداته، ينقسم إلى مرسل، مؤكد، مفصل.

4- وقد تناوله السّكاكي في كتابه مفتاح العلوم وكذا شرّاحه أمثال الخطيب القزويني وبهاء الدين السّبكي، حيث اتفقوا مع السّكاكي في باب التشبيه في مواضع واختلفوا في مواضع أخرى.

5- اهتم السّكاكي بعناصر التداول: المتكلم، السامع، المقام، يُعرف السّكاكي علم البيان «بأنه معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»

6- حدّد السّكاكي الدلالات في ثلاثة أنواع: دلالة مطابقة وهي دلالة وضعية، دلالة التضمين وهي دلالة عقلية، دلالة الالتزام وهي دلالة عقلية أيضا.

7- ذكر السّكاكي طرفي التشبيه (المشبه والمشبه به) وركز على أهميتهما في أسلوب التشبيه، كما أنّه قد ذكر الغرض منهما وهذا الأخير هو الذي يبرز تداولية التشبيه.

وقد قمنا بهذه الدراسة لإثبات الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة، من خلال كتاب من أفضل كتب البلاغة، كتاب مفتاح العلوم لصاحبه أبو يعقوب السّكاكي، وهذا هو هدف البحث، وذلك لتقريب هذا المنهج الغربي الحديث من بلاغتنا العربية القديمة.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، م11، ط3، 1994.

2-أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح مفيد قمحة، دار الكتب العلمية.

3-الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل العيون السود، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

4-السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف، مطبعة، دار الرسالة، بغداد، ط1، 1981.

5-القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعني، البيان، البديع) مختصر تلخيص المفتاح، تحقيق، رحاب عكاوي، دار الفكر العربي بيروت، 2000.

6-القزويني التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، ط1، 1904.

7-بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد، مناوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003.

8-ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مطبعة المأمون، الطبعة الأخيرة، ج20، ص59، 60.

قائمة المراجع:

1- أحمد مطلوب، البلاغة عند السّكاكي، مطابع، دار التضامن، بغداد، ط1، 1964.

2-الدكتورة خديجة بوخشّة، محاضرات في اللسانيات التداولية HTTPs://www.1000lela.com

3-السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999.

4-اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع .brahmiblogspot.com

5-باديس لهويمل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسّكاكي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2014.

6-جاك موشلار وآن روبول، التداولية اليوم علم جديد، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

7-سليم حمدان، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في لسانيات الخطاب، جامعة الحاج لحضر، باتنة، 2008، 2009.

8-شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، د.ت.

9-عبد الرحمن حسن السيراني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، الدار السامية، بيروت، ط1، ج2، 1996.

10- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، دار النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

11- عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م

12- فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنينتي، المغرب، د.ط، د.ت.

13- محمد عيسى إبراهيم قنديل، الشريف الجرجاني وجهوده البلاغية، أطروحة دكتوراه في الآداب، إشراف الدكتور لويس بوزيه والدكتور أهيف سنو، جامعة القديس يوسف، 1994.

14- محمد مصطفى هدارة، في البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1989.

15- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت.

16- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

17- وكيبديا :arm.wikipedia.org.ps

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات **الصفحة**

إهداء

شكر

مقدمة..... أ – ج

الفصل الأول: السّكاكي والفكر التداولي

تمهيد..... 06

المبحث الأول: السّكاكي وكتابه..... 07-17

المبحث الثاني: الفكر التداولي الحديث..... 18-33

الفصل الثاني: الفكر التداولي في مفتاح العلوم

المبحث الأول: التشبيه عند السّكاكي..... 36-50

المبحث الثاني: التشبيه من منظور تداولي حديث..... 51-58

الخاتمة..... 60-62

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات